**المحاضرة الأولى**

**عنوان المحاضرة:مدخل إلى دلالة لفظ/مصطلح الخطاب**

إن الحديث عن لفظ/مصطلح"الخطاب"كيف نشأ وتطور وتداوله النقاد،يدعو المهتمين به،إلى ضرورة تحديد مساراته المفهومية الدلالية اللغوية/المعجمية/الاصطلاحية لجذر لفظ/كلمة"خطاب"إذ أنه يوحي على وضع لغوي عام وتداولي نقدي خاص اتفق عليه البحاثة والنقاد ،قديما وحديثا،تمثل في دلالة"الكلام" وأما في الدرس النقدي المعاصر فقد أخذ أبعادا اصطلاحية فكرية /نقدية تداولية،بحيث أصبح يشكل مقولة مفتاحية ضمن مجالات دراسات تحليل الخطاب،ذلك أنه:تشكل ونما في أحضان العلوم الإنسانية والاجتماعية،ولعل من أبرزها العلوم اللسانية والنقدية الأدبية المعاصرة،لهذه الاعتبارات وغيرها سنحاول من خلال هذه الإشكالية الراهنة أن نتعرف على أهم المسارات الدلالية و المفهومية المصطلحية "للخطاب"الذي برزت تداوليته النقدية بشكل بارز ضمن مسار الحركة النقدية الأدبية المعاصرة العربية والغربية على السواء.

**أولا/المفهوم اللغوي لجذر لفظ/خطب:**

**1/في القرآن الكريم:**لقد أورد الله تعالى في كتابه صيغا مختلفة/متعددة" للفظ-خطب-في اثنتي عشرة مرة،موزعة ضمن اثنتي عشرة سورة"[[1]](#footnote-1)وهي كلها تشترك في مسار دلالي لغوي تداولي شائع وذائع بين البحاثة والنقاد هو"الكلام،القول،الملفوظ،الرسالة،المحاججة،الحديث،المخاطبة،الحوار....،مما يعني أن لفظ الخطاب يحمل من حيث تكوينه اللغوي دلالات بالكاد تصب في مجرى واحد هو"الكلام"،ومن أجل ذلك فقدجاءت صيغة-فعال-في قوله تعالى"وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل والخطاب"[[2]](#footnote-2)وعليه فقد عدَ"الرازي"صفة فصل الخطاب من الصفات التي منحها"الله"للنبي داوود"عليه السلام-معتبرا إياها من علامات حصول-قدرة-الإدراك/الفهم/الإحساس التي يمتاز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، بهذا يكون"الله"قد مكن –داوود-من السلطة الكافية التي ضمنها خطابه لاستمرار حكمه في الأرضغير أنه وفي جانب آخر أن الناس مختلفون في مراتب اكتساب القدرة على التعبير عما في النفس وما يحضر في العقل من كلام،الذي اتفق الكثير من علماء المعاجم وعلى رأسهم"ابن منظور" على دلالته التي لا تخرج عن"دلالة مراجعة الكلام،وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا،وهما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الإشتراك والمشاركة في فعل ذي شان،وأما الخطبة فهي مصدر الخطب،فيوضع موضع الصدر"[[3]](#footnote-3).

ومما سبق يمكن التأكيد على أن دلالة الخطاب في القرآن الكريم يراد بها الملفوظ نفسه أو التلفظ أو الكلام وغيرها وفضلا عن ذلك فهو يشكل نظام القول أو نظام التلفظ.

**2/عند النحاة:**حمل لفظ الخطاب في الدرس النحوي عدة دلالات لعل من أبرزها الإشارة الإشارة إلى طرفي الخطاب،وهما اسم الفاعل-مخاطب-بالكسر-واسم المفعول-مخاطب-بالفتح-كما أن دلالة اللفظ-خطاب-قد تتجلى نحويا على مستوى شكل لغة الخطاب من خلال الضمائر والأدوات الدالة على طرف الخطاب وهي التي تلحق اسم الإشارة-ذا-من قبيل:ذاك،ذلكم ...وغيرها،فاختلاف الحركات"لكاف الخطاب"والتي تحمل آمارة على اختلاف أحوال المخاطب سواء من حيث الإفراد/التثنية/الجمع وغيرها وهذا ما أكد عليه"المبرد"في معرض إشارته عن الدلالة النحوية التي تحمتها كاف الخطاب"اعلم أن هذه الكاف زيدت بمعنى المخاطبة"[[4]](#footnote-4)

**3/عند البلاغيين:**ارتبط مدلول"الخطاب"في الدرس البلاغي بمدلول"الخطابة"التي:تعد الأصل المرجعي للخطاب الذي نظر إليه في الوعي البياني والبلاغي على أنه هو الأخر المشروط،مشروط بالإقناع والتأثير بوصفه الكلام الجامع لشروط الاقناع والتأثير"[[5]](#footnote-5)لذلك فإن حضورها في مجال النثر تأخذ منزلة القصيد في مجال النظم،ومن ثم فهي تمثل الإطار البياني الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية،مما يصبح مدلول الخطاب وفق التصور البياني حاملا لدلالة"سحر الكلام"المنسجم وفق جمل منطوقة/مكتوبة وقائمة بلاغيا على سياق/مقام مخاطبين في الزمن والمكان أي أن تأديته قائمة على مجموعة من المرجعيات والأنساق التي ينهض عليها فعل إنجاز الكلام،وعليه يوصف الخطاب في العرق البلاغي بالكلام السحري أو بنظام التكلم الجامع لشروط الإقناع والتأثير .

**ثانيا/المفهوم المعجمي لجذر لفظ/خطب:**

تعد الصورة المعجمية للكلمات في اللغات البشرية جوهرية،ذلك أنها تمثل المرجعية التكوينية الدلالية لها سواء في المعجم العام أم التخصص،فالدلالة اللغوية المعجمية للألفاظ تأخذ صورة دلالية جوهرية تقوم على أساسها التداولية المعجمية لها بين الجماعات اللغوية،وعليه فإن تتبع الدلالة المعجمية للفظ-خطب-وما صيغ منه معجميا من دلالات سواء في المعاجم العربية والغربية فإنه بالكاد لم تخرج عن المسارات اللغوية الدلالية له.

**1/في المعاجم العربية:**

لقد أورد"الزبيدي"في معجمه-تاج العروس-[[6]](#footnote-6)دلالات متعددة ومعاني مختلفة لجذر لفظ-خطب-منها على سبيل التمثيل:الخطب هو الشأن/الحال/الأمر الذي تقع فيه المخاطبة،ومنه قولهمكحل الخطب أي عظم الأمر والشأن،وجمعه خطوب،وخطب الخطيب خطبة-الضم-هو الكلام المنثور المسجع ونحوه،ورجل خطيب:حسن الخطبةوالخطاب-بالتشديد-المتصرف في الخطبة والمخاطبة مراجعة الكلام .

وأما في المعجم"الوجيز الميسر"فقد هو الأخر دلالات معجمية مختلفة ومتعددة وهي كالآتي:خطب على الناس أي ألقى عليهم خطبة-كلاما-ويقال خطبها من أهلها أي طلبها من أهلها من أجل الزواج بها،وخاطبه مخاطبة بمعنى كالمته وحاورته وراسلته أي وجهت إليه كلاما وحديث ورسالة،فيقال أخاطبه في الأمر بمعنى أحدثه في هذا الشأن[[7]](#footnote-7)مما يعني أن دلالة الخطاب لم تخرج عن دلالة الكلام/الحديث/الرسالة.

وأما في معجم"الوسيط"فقد أورد هو الأخر دلالات متعددة وصيغا مختلفة منها:خاطبه،مخاطبة،خطابا،بمعنى حادثه وخاطبه وكالمه أي وجه إليه كلاما-الكلام المتبادل-،والخطاب هو الكلام ،وخاطبه أي واجهه بالكلام ويقابله الجواب:الرسالة,والخطابة مصدر خطب.

وانطلاقا من هذه الدلالات المعجمية-الخاصة بالمعاجم العربية- لمادة-خطب-يمكن التأكيد على أن الأصل في هذه المادة المعجمية الدلالية أنها احتوت على صيغ معجمية دلالية جوهرية التي كونت بدورها تصورا معجميا دلاليا لمدلول لفظ-الخطاب-وما صيغ منه من دلالات متعددة ومختلفة.

**2/في المعاجم الغربية:**

لقد أجمعت الكثير من الدراسات المعجمية الغربية من أن أصل كلمة"خطاب/Discours"مشتقة من مشتقة من الكلمة اللاتينية"Discrrere/"والتي تعني الجري ذهابا وإيابا" وهو فعل يتضمن معنى التدافع والذي يقترن بالتلفظ المعنوي،وأما كلمة Discursus"والتي استعملت إبان القرون الوسطى والتي تعني"الحجة/البرهان"،لتنحسر دلالته المفهومية المعجمية في أنه:اتصال لفظي أي كلام ومحادثة،معالجة منطوقة لموضوع طويل من قبيل:موعضة/أطروحة/رسالة،وحدة نصية منطوقة أم مكتوبة بطريقة شكلية،القدرة على التفكير،المشاركة في مناقشة،أي محادثة خاصة ذات طبيعة شكلية،تعبير شكلي ومنسق عن الأفكار بالكلام أو الكتابة،تعبير عن الأفكار يأتي على شكل خطبة دينية أو رسالة بحث...،قطعة من الكلام أو الكتابة وأما في قاموس

1. ينظر محمد فؤاد عبد الباقي.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.دار الفكر.بيروت.1986.ص:235 [↑](#footnote-ref-1)
2. -1سورة"ص"الآية"38 [↑](#footnote-ref-2)
3. -2 ينظر:أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور.لسان العرب.ج5.دار صادرللطباعة والنشر.1965.بيروت.ص:856-مادة:خطب- [↑](#footnote-ref-3)
4. أبو عباس محمد بن يزيد المبرد.الكامل في اللغة والأدب.دارالفكر العربي.ط3.1997.القاهرة.ص:184 [↑](#footnote-ref-4)
5. عبد الواسع الحميري.الخطاب والنص .المؤسسة الجامعية للدراسات.ط1.بيروت.2014.ص:14 [↑](#footnote-ref-5)
6. مرتضى الزبيدي.تاج العروس.حققه ابراهيم الترزي.التراث العربي.بيروت.ط1.ص:34-مادة-خطب- [↑](#footnote-ref-6)
7. ينظر:المعجم الوجيز الميسر.دار الحديث.ط1.الكويت.1994.ص:363 [↑](#footnote-ref-7)